دور السجلات والمكتبات :

لقد اجمع الباحثون على ان اصل نظام المكتبات ودور السجلات وفن حفظها (الارشيفات) يرجع الى حضارة وادى الرافدين ، كما تدل على ذلك المجموعات الكثيرة من الواح الطين التي وجدت في المدن المشهورة مثل نفر والوركاء وبورسبا ونينوى وغيرها . وقد استتبع ظهور هذه المؤسسات المهمة في تاريخ الحضارات عن طبيعة مادة الكتابة التي استخدمها كتبة الصراق القديم ، ونعني بذلك الطين الذى كان المادة الرئيسية للكتابة مع استخدام الحجر والمسلات والانصاب. فأن لوح الطين مهما بلغ حجمه (واكبر لوح عثر عليه لا يتجاوز زهاء ٥٠ × ٥٠ سم) لا يستوعب نصوصا كتابية مطولة بل انه يصلح لكتابة الشؤون الاعتيادية كالرسائل والعقود والوثائق الادارية والاقتصادية والمعاملات التجارية المختلفة اما في حالة النصوص الادبية المطولة مثل ملحمة جلجامش الشهيرة (التي تحتوي على اكثر من ٣٠٠٠ بيت من الشعر) واسطورة الخليفة وغيرها من النصوص التاريخية والادبية فكان يتعذر تدوينها على لوح واحد ، بل كانوا يدونونها على سلسلة من الواح الطين (وقد دونت ملحمة جلجامش مثلا على ١٢ لوحاً واسطورة الخليقة البابلية على ٧ الواح)، ويرقمون كل لوح من تلك السلاسل ويضعون عنوان السلسلة او النص الادبي في اعلا كل لوح او في آخره . وجرت العادة انهم كانوا يختارون لعناوين تلك السلاسل اول عبارة من النص الادبي . فكان عنوان ملحمة جلجامش « مثلا هو الذى رأى كل شيىء » – سلسلة جلجامش (وفي البابلية شانقبا

Scanned by CamScanner

امورو – اشكار جلجامش) وعنوان اسطورة الخليقة البابلية حينما في العلا (وفي البابلية حينما عيلش) وعنوان الملحمة الشبيهة بقصة ايوب في التوراة لا مجدن رب الحكمة (وفي البابلية لدلل بيل نميقى) وهكذا . وكانوا . ينظمون مثل تلك السلاسل في رفوف او صناديق خاصة مع وضع بطاقة تعريفية بعنوان التأليف الادبي . وهكذا نشا أول نظام لحفظ السجلات والمدونات اى الارشيفات والمكتبات ، وكان يقوم على شؤونها وتنظيمها موظفون مختصون واشتهرت المدن القديمة الكبرى باحتوائها على مكتبات كبيرة كشفت التنقيبات الأثرية عن بعضها وهي تحتوى على عشرات الالوف من الواح الطين المدونة بمختلف شؤون المعرفة كالنصوص الادبية السومرية والبابلية والنصوص الرياضية والفلكية واللغوية والنصوص الطبية والسجلات الرسمية . ولعله يكفي ان نذكر كمثال على تلك المكتبات ودور السجلات المكتبية الضخمة التي اشتهرت في تاريخ التحريات الاثرية منذ منتصف القرن الماضي ، ونعني بذلك مكتبة الملك الآشورى اشور بانيبال (القرن السابع ق . م) التي اقامها هذا الملك الشهير في قصره في الصاصمة نينوى ، حيث عثر المنقبون الاول (منتصف القرن الماضي) على مئات من الالوف من الواح الطين المدونة كما قلنا بمختلف صنوف العلوم والمعارف التي توصلت اليها حضارة وادى الرافدين ، ويرجع الفضل اليها في معرفتنا بالاوجه والمقومات الاساسية لتلك الحضارة ، وهي الآن تعد بين الكنوز الاثرية في المتحف البريطاني . ولعله من المفيد ان نوه بأن ذلك الملك اى اشور بانيبال تميز عن سائر ملوك حضارة وادى الرافدين في ولعه بجمع المعرفة واستنساخ الواح الطين الموجودة في المكتبات في بلاد بابل او جلب النسخ الاصلية فكان بذلك اشبه ما يكون في تاريخنا العربي بالخليقة المأمون في ولعه بتجميع المعرفة والحث على التأليف والبحث والترجمة وقد خلف لنا الملك الاشوري بالاضافة الى سجلاته الرسمية نبذة طريفة تتعلق بسيرة حياته وولعه باكتساب المعرفة ، فنجده يقول في تلك السيرة[٥٥] : حصلت على الفنون الخاصة بالالهة ندابا (وهي من الهة الكتابة والمعرفة) ، واتقنت المعرفة الخاصة بالكتاب وحذقت علامات السماء والارض ودرست ظواهر السماء واستطعت ان احل مسائل عويصية في الريا ضيات واتقنت فن الكتابة السومرية والاكدية البالغ الصعوبة .... وكان يطيب لي ان اقرأ الاحجار والانصاب المكتوبة في ازمان ما قبل الطوفان ... الخ

Scanned by CamScanner

التدوين التاريخي :

من المقولات الشائعة عند الغربيين وانتقلت الينا أن المؤرخ اليوناني هيرودوتس (القرن الخامس ق . م) يلقب بابي التاريخ .ومع ان هذا المؤرخ كان حقيقة من اوائل المؤرخين في الحضارة اليونانية بيد ان تلك المقولة غير صحيحة مطلقا ، ذلك لان الدراسات الحديثة التي استتبعت الكشف عن النصوص المدونة في الحضارات القديمة التي ازدهرت في الوطن العربي واقدمها كما ذكرنا مرارا ، حضارتا وادى الرافدين ووادى النيل فقد ظهر ان من بين العلوم والمعارف التي توصلت اليها تلك الحضارات كان التدوين التاريخي ، وان البدايات والاسس الاولى لتدوين احداث الماضي قد وضعت في حضارة وادى الرافدين. ومع انه لم تظهر المفاهيم والقواعد العلمية الحديثة في تدوين التاريخ في تلك الحضارة بيد انه ظهر فيها ابرز الاهداف التي تميز التاريخ بوجه عام وفي مقدمة ذلك ما يصح ان نسميه بالحس التأريخي اى اهتمام القوم بتسجيل تجارب الاجيال الماضية وخبراتها ومنها اعمال الملوك والحكام ، ومحاولة تفسير التاريخ البشرى العام بالرموز الاسطورية مثل خلق الانسان ومكانته في نظام الكون والحياة ، وظهور المجتمع وانظمة الحكم . وتستند كتابة التأريخ عند كتبه حضارة وادى الرافدين على الاساليب التي اتخذوها في تاريخ الحوادث التي ذكرناها في الفصول السابقة ، فقد صارت الجداول التي نظموها من هذه الحوادث المؤرخ بها احد المصادر لتدوين احداث الماضي .

وقد دون الكتبه القدماء انواعا مختلفة من التأريخ اشهرها تنظيم جداول او اثبات سلالات الملوك التي حكمت البلاد ، واوسعها ما يسمى بجداول الملوك السومرية (Sumerian King-List) التي شرحناها في كلامنا على عصور السلالات وهي اوسع جداول باسماء الملوك والسلالات التي حكمت وادى الرافدين منذ ازمان ما قبل الطوفان الى سلالة ايسن ، وهي اولى السلالات في العصر البابلي القديم التي مر بكم الكلام عليها والتي تم في عهدها آخر نشرة لتلك الجداول . ونظم المؤرخون القدماء ايضا جداول اخرى مماثلة عن السلالات الحاكمة ولكنها جداول مختصرة تتعلق بملوك سلالة معينة مثل جداول الملوك البابليين واشهرها الجدول المتضمن سلالة بابل

Scanned by CamScanner

الاولى التي اشتهرت بملكها السادس حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) ، ومثل جداول الملوك الآشوريين (راجع الفصول الخاصة بتاريخ الاشوريين) .

وقد خلف لنا الكتبة الآشوريون نوعا طريفا من المدونات التأريخية تعرف لدى الباحثين باسم التاريخ التعاصرى (Synchronistic) حيث يذكر الملوك الآشوريون والى جانبهم معاصروهم من ملوك بلاد بابل ، مع ايجاز العلاقات السياسية ما بين ملوك الدولتين الآشورية والبابلية ابتداء من حكم الملك الثاني لسلالة بابل الاولى سمولئيل الى زمن الملك الآشورى اشور بانيبال الشهير في القرن السابع ق .م اما المؤرخون البابليون فقد دونوا نوعا مهما اخر من التأريخ هو التاريخ المنظم على السنين اى الحوليات ودونوا اهم الاخبار التأريخية في بلاد بابل وآشور منذ عهد الملك الاشورى تجلا ثبليزر الثالث (٧٤٤ – ٧٢٧ ق . م) ويستمر في سرد الاحداث التاريخية الى عهد الملك السلوقي سلوقس الثالث (٢٢٥ – ٢٢٣ ق . م) . ويعرف هذا النوع من التدوين التأريخي لدى الباحثين المحدثين باسم التواريخ البابلية (Babylonian Chronicles) ، وجاء الينا انواع اخرى من المدونات التأريخية منها ما يخص تاريخ ملك معين مثل تاريخ سرجون الاكدى وتاريخ اخر الملوك البابليين نبونيدس ، وتضمن سقوط بابل على ايدى القرس الاخمينين (٥٣٩ ق . م) .

ونختتم هذا الموجز عن اساليب التدوين التأريخي في حضارة وادى الرافدين بذكر مؤلف تاريخي مهم هو تاريخ الكاهن والكاتب البابلي المسمى بيروسس (Berosus) (ولعل اسمه البابلي برغوشا اوبرخوشا) ، وكان هذا كاهن معبد الاله مردوخ في بابل وعاش في زمن السلوقيين ، وهم حكام العراق الذى خلفوا الاسكندر الكبير من بعد فتحه للعراق (٣٣١ ق . م) ، وقد الف تاريخه باللغة اليونانية في عهد الملك السلوقي انطيوخس الاول (٢٧٩ – ٢٦١ ق .م) وعنونه بعنوان بلاد بابل . (Babyloniaca) او بلاد كلديا (Chaldiaca) وقد ضمنه تاريخ بلاد بابل منذ الخليقة الى فتح الاسكندر الكبير للعراق . ولكن ما يؤسف عليه ان الكتاب الاصلي قد ضاع ولا نعرف عنه سوى مقتبسات كثيرة جاءت في مؤلفات بعض الكتاب اليونان والرومان

Scanned by CamScanner